الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

في العصر الوسيط

موسومة بـ:

الحرفيون في العهد الزياني

ودورهم الاقتصادي و الاجتماعي

إعداد الطالبات:

☼ صافي فاطمة الزهرة

☼ دحمان مازية

إشراف:

☼ د. عليلي محمد

لجنة المناقشة

د.كوريب عبد الرحمن ..... رئيسا

د.عليلي محمد..... مشرفا و مقررا

د.راكة عمر.....عضوا و مناقشا

السنة الجامعية:1442هـ/1443هـ-2021م/2022م

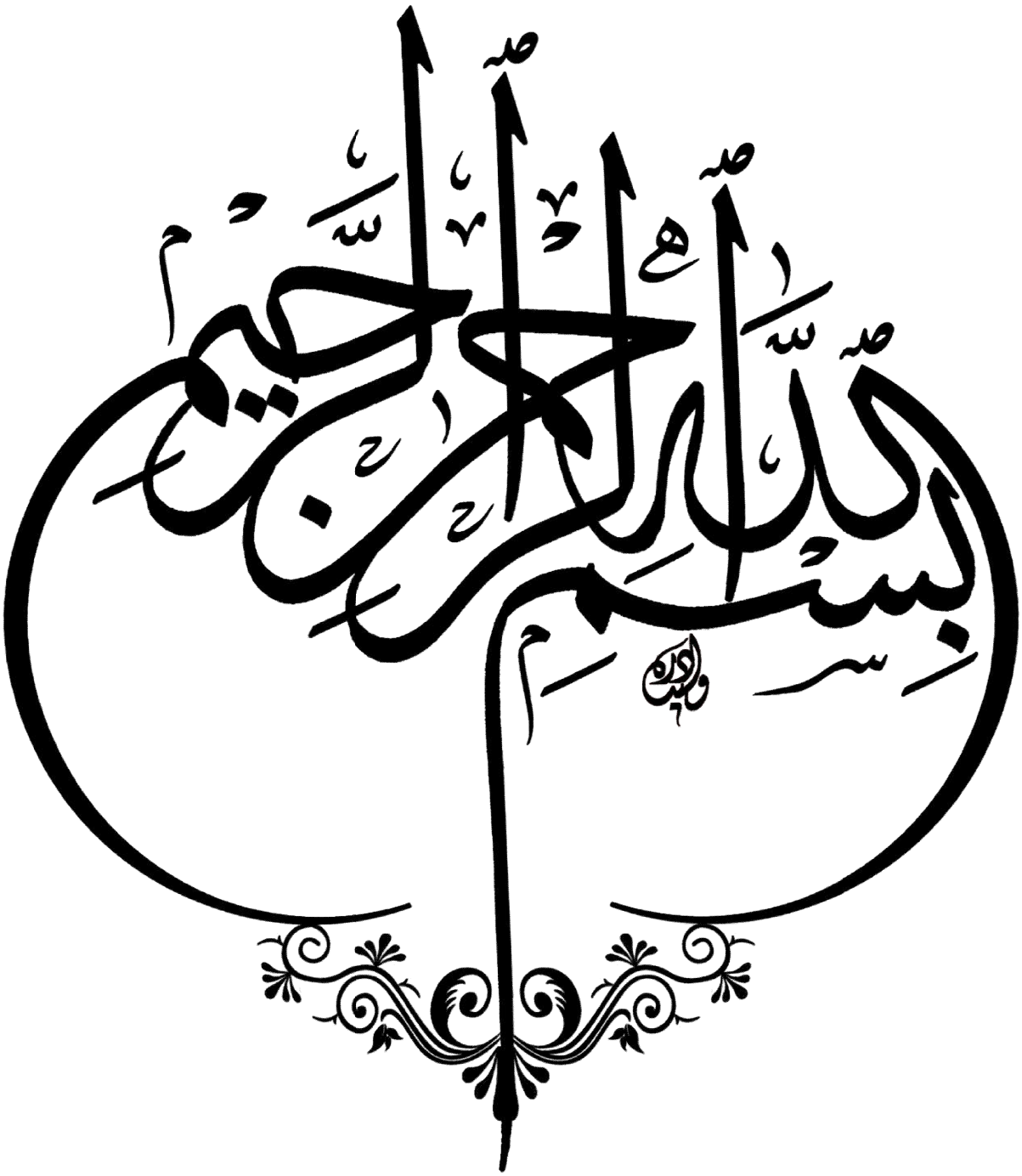
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

عملا بقوله تعالى " ...لئن شكرتم لأزيدنّكم " سورة إبراهيم، الآية:07.

قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم:" من لا يشكر النّاس لا يشكر الله " .

-كل الشكر في بادئ الأمر إلى العلي القدير على منحنا الصّحة والصبر و الطموح لإتمام هذا العمل المتواضع.

-وبعد الله سبحانه و تعالى نتقدم بالشكر الجزيل إلى رمز الاحترام والتقدير الذي قال في حقه الشاعر: " قم للمعلم وفّه التّبجيل كاد المعلّم أن يكون رسولا" للدكتور "**عليلي محمد** " الذي تفضل بأشرافه على هذا العمل ولما قدمه لنا من جهد و نصح و معرفة طيلة إنجاز هذا البحث دون كلل أو ملل.

- كما نتوجه بالشكر و التقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفونا بقبول مناقشة المذكرة والحكم عليها، و إلى كل دكاترة قسم التاريخ بجامعة ابن خلدون لما قدموه لنا من علم مفيد.

-كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة أو دعوة صالحة.

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ج	الجزء
مج	مجلد
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
ت	توفي
هـ	هجري
م	ميلادي
تر	ترجمة
تق	تقديم
ص	صفحة
ص ص	عدد صفحتين
{....}	كلام محذوف

تعتبر الدولة الزيانية من أهم الدول التي ظهرت في المغرب الإسلامي حيث استمرت أكثر من ثلاثة قرون(633هـ-962هـ/1236-1554م). وأثرت عليه تأثيرا في جميع الجوانب اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وقد ازدهرت في جميع المجالات و قد اتخذ الزيانيون مدينة تلمسان عاصمة لمملكتهم وكانت هذه الحاضرة في نفس الوقت مركزا إشعاعيا في الفكر و الاقتصاد حيث نجد أن الجانب الاقتصادي قد تميز بوجود مجموعة من الحرف و الصنائع ميزت نموها الاقتصادي و في نفس الوقت دفعت بعجلة التطور الاجتماعي إلى الأمام و من هذا المنطلق فإن إثراء الدراسة الاقتصادية والاجتماعية يتطلب من الباحث التطرق إلى مختلف الحرف التي كانت قائمة في هذه الدولة ولا سيما مدينة تلمسان التي شهدت ازدهارا كبيرا في عهد الزيانين من حيث تطور الحرف لا سيما تلك الحرف التي ساهمت في نمو المجتمع و ازدهاره و ارتقائه الحضاري ومن جهة أخرى فإن دراسة الحرف في تلمسان الزيانية بشكل خاص يساعدنا في استجلاء تلك الروابط و العلائق الاجتماعية التي كانت تربط مختلف شرائح المجتمع من حيث حاجة هذه الشرائح إلى الحرف و ما تتطلبه من الارتقاء في الأذواق الاجتماعية والنواحي الثقافية و على هذا الأساس ما شجع على وجود يد عاملة متخصصة في مختلف الحرف ميزها الإبداع الذي ظهرت معالمه على كل الجوانب الحضارية بما فيها في الجانب العمراني وما يتصل من علاقة بالجانب الاجتماعي .

يعد هذا البحث محاولة لدراسة الحرف والصنائع ودور الحرفيين في دعم الجوانب الاقتصادية والاجتماعية التي تميزت بها تلمسان خلال العهد الزياني.

أما من حيث الدوافع التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ:**الحرفيين في الدولة الزيانية ودورهم الاقتصادي و الاجتماعي.** هو رغبتنا في التعرف على أنواع الحرف التي كانت سائدة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني.

كما دعتنا رغبتنا أيضا إلى التعرف على الحرفي الزياني و ما بذله من جهود في ترقية حرفته وحبه لها وكل ذلك ساهم في إعطاء لمسة إبداعية للحرفة التي ألفها أبا عن جد و أخلص فيها مما دفعنا إلى التعرف على دور هذا الحرفي و مساهمته في التطور الحضاري للمغرب الأوسط خاصة تلمسان الزياني.

وحتى يتسق بحثنا مع متطلبات البحث العلمي وأصوله الأكاديمية فإنه من اللازم علينا أن نطرح الإشكالية التالية:

- إلى أي مدى ساهم الحرفيون في ترقية الجانب الاقتصادي والاجتماعي خلال العهد الزياني؟

وتتصل بهذه الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية التفكيكية هي:

- ما هي أبرز الحرف التي كان لها دور فعال في الحياة الاقتصادية والاجتماعية؟
- ما هي إسهامات الحرفي الزياني التي يمكن وضعها في خانة الإبداع الفني و الإبداع الحرفي ؟

أما من حيث المنهج المتبع في هذا البحث فإن طبيعته البحثية التاريخية تطلبت منا الاستعانة بالمنهج التاريخي التحليلي الوصفي القائم على استعراض أهم الحرف ووصف أصحابها وأهميتها الاقتصادية و الاجتماعية مع تحليل المعطيات الاقتصادية المتعلقة بهذه الحرف.

لاشك أن أي بحث أكاديمي ينطلق مما درس سابق في هذا الموضوع وقد قادنا بحثا عن هذه الدراسات إلى العثور عن مجموعة من الدراسات نذكر منها على سبيل مثال:

1-عبد الصامد حمزة، أهل الذمة في الدولة الزيانية(633هـ/962هـ – 1235م/1554م) دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة ، 2017/2016.

1-لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633هـ/1235م- 962هـ/1554م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2018/2017.

وحتى تكتمل صورة البحث و مجاله الجغرافي و التاريخي فقد اعتمدنا على خطة كانت بمثابة قالب بحثي كان على الشكل التالي:

مقدمة: كانت بمثابة تمهيد وتعريف بالموضوع. والإحاطة بأهمية الموضوع والدوافع التي دفعتنا إلى اختياره ودراسته، وكذا الإشكالية المتضمنة للموضوع الذي هو قيد الدراسة، والمنهج المتبع في البحث مع الإشارة إلى خطة العمل، ورصد أهم المصادر والمراجع الأساسية للبحث، مع التطرق إلى أهم الصعوبات التي واجهتنا ونحن بصدد إنجازنا لهذه المذكرة.

مدخل: دراسة حول الدولة الزيانية من خلال التطرق إلى أصل بني عبد الواد وتأسيس الدولة الزيانية التي تطرقنا فيها إلى بعض النقاط التي كانت تشمل الأوضاع السياسية التي أدت إلى قيام هذه الدولة ودراسة موقعها الجغرافي.

وقد قسمنا موضوع بحثنا إلى ثلاثة فصول موزعة على الشكل التالي:

الفصل الأول :الذي عنوناه بالحرف وعوامل ازدهارها في الدولة الزيانية، تناولنا فيه ماهية الحرف وأهميتها، وأبرز الحرف والصنائع التي كانت متداولة خلال تلك الفترة بالإضافة إلى العوامل التي ساعدت على ظهور تلك الحرف و النشاطات.

الفصل الثاني: تحت عنوان الدور الاقتصادي للحرفيين في العهد الزياني، تعرضنا فيه إلى دور الحرفيين في دعم الأنشطة الصناعية والتجارية و الفلاحية التي كانت سائدة خلال العهد الزياني.

الفصل الثالث: خصصناه لدور الحرفيين في الجانب الاجتماعي، مبينين التمازج الاجتماعي و الثقافي الحاصل بدعم الحرفيين له حيث تطرقنا فيه إلى عدة عناصر من بينها دور الحرفيين في تنميق المسكن التلمساني. بالإضافة إلى تداول الحرف ذات الطابع الفني. ومدى مساهمة الصناع في تطوير الحياة الثقافية.

ومن باب تطعيم الموضوع بمعلومات وافية أتبعنا الفصول بخاتمة و مجموعة من الملاحق التي لها صلة بصلب الموضوع.

وحتى يتم إثراء الموضوع بالمادة العلمية ذات صلة بعنوان البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

أولا: المصادر:

أ/ المصادر التاريخية:

- عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر الذي أفادنا كثيرا في المدخل و الفصل الأول في المبحث الثاني فيما يخص أنواع الحرف.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا الجزء الخامس حيث ساعدنا في المبحث الثاني من الفصل الأول في الصناعات النسيجية والقطنية في الدولة الزيانية.

ب/ المصادر الجغرافية:

- كتاب وصف إفريقيا للحسن محمد بن الوزان، المعروف بليون الإفريقي، وهو كتاب جغرافي يصف مناطق عديدة. حيث أفادنا في الفصل الثاني وثالث.

ثانيا/ المراجع:

- كتاب تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي، الذي عالج الجوانب الاقتصادية والاجتماعية و كذا الحضارية والثقافية.
- كتاب باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان لمحمد بن رمضان شاوش، فقد أفادنا في الجانب التجاري للدولة الزيانية.

وكأي بحث لا يخلو من الصعوبات واجهتنا بعض الصعوبات منها شح المادة العلمية في المصادر التاريخية لاعتبار أن جل المصادر التاريخية تركز على جوانب الاقتصادية والسياسية.

و إذا كانت الغايات لا تدرك إلا بخوض الصعوبات، فإن متعة البحث العلمي لا بد أن تتخللها المتاعب و الكثير من المجهودات لأن الثمار لا تأتي إلى بعض بذل المجهود. و الدراسات التاريخية بشكل خاص تتميز بكونها دراسات مضنية على الباحث أن يألفها في سبيل تحقيق مبتغاه العلمي. و في الأخير نتمنى أن نكون قد أحطنا بمختلف جوانب الموضوع قيد الدراسة كما أن دراستنا هذه قد تفتح أفاق جديدة لدراسات مستقبلية .

وبتوفيق من الله أتممنا هذا البحث في الفترة المحددة.

1-أصل بني عبد الواد:

بنو عبد الواد هم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة[1]البربرية وموطنها الأصلي المغرب الأوسط، وفي ذلك يقول إبن خلدون:"والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة"وهي أقوى القبائل البربرية البترية عددا وعدة، وتنسب إلى مادغيس الأبتر،بينما يرجع يحي ابن خلدون الإنتساب إلى بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن مهد بن عدنان. [2]

وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون منهم بنو ياتكين،وبنو وللّوا،بنو ورصطف ومصوصة،وبنو تومرت،وبنو القاسم الذين كانوا من أشد بطون بني عبد الواد قوة وأعظمهم عصبية ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس.

وقد قال يغمراسن بن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه إلى إدريس،حيث رد على ذلك بقوله:"إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله،وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا".[3]

1-زناتة: قبيلة بربرية تتكون من بطون عديدة متشبعة، تعرف بشعوب زناتة لكثرتها وللهجاتها التي تختلف ربما عن اللهجات الأمازيغية الأخرى حيث قال إبن خلدون: "وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر" ينظر: عبد الرحمن إبن خلدون، تاريخ إبن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر،ج7، بيروت-لبنان، دار الفكر،1421هـ-2000م، ص3.

2-خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن(دراسة تاريخية وحضارية)، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م، ص63.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص97.

وكان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي تجوب صحراء المغرب الأوسط، وكانوا ينتجعون المراعي الخصبة، ويترددون على المناطق التي تقع مابين فجيج ومديونة إلى جبل بني راشد،وبقوا على تلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط فكان بنو عبد الواد سباقين إلى طاعتهم ومن أخلص أوليائهم وأنصارهم فإتخذهم الموحدون حماة لقطر تلمسان وبلاد زناتة[1].

2-تأسيس الدولة الزيانية:

إستغل بنو عبد الواد ضعف الموحدين نتيجة إنشغالهم بقمع الثورات المناهضة لهم كثورة بني غانية[2]، فضلا عن الحروب المتكررة التي كانت تنشب بين بني مرين والموحدين،أما الحادث البارز والذي كان له أثر في معركة "حصن العقاب"[3]في الأندلس سنة (609هـ-1212م)مما أدى إلى ضياع هيبتهم أمام تطلعات القبائل الكبيرة وطموحاتهم[4]، وبتبدده تلاشى كذلك الأمل في تمكن المسلمين من الثبات في الأندلس ولهذا تعتبر هذه الهزيمة النهائية الحقيقية لقوة الإسلام في الأندلس[5].

1- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني(دراسة سياسية، عمرانية، إجتماعية، ثقافية)،ج1، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص14-15.

2- بنو غانية: من أعقاب علي بن يحي المسوفي الذي كان مقربا من علي بن تاشفين، وتزوج إمرأة من القصر المرابطي، ولما كبرا ابنيهما عينا ولاة بالأندلس.أنظر:عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه صلاح الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت،2006، ص-ص 195-196.

3- حصن العقاب: دارت هذه المعركة بين الموحدين بقيادة محمد الناصري الموحدي وبين الجيش الإسباني المسيحي حيث إلتقى الجيش الإسباني والموحدين بموضع يعرف" بالعقاب"بالقرب من حصن يدعى"حصن سالم"فعبأ الإدفنش جيوشه ورتب أصحابه، وداهم المسلمين وهم على غير أهبة، فإنهزموا وقتل من الموحدين خلق كثيرا.أنظر:عبد الواحد المراكشي، نفسه، ص235.

4- عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق، ص ص13-14.

5- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة،2004 ، ص233.

ونتيجة لضعف الدولة الموحدية صار شيوخ القبائل المحالفة يتدخلون في شؤون الحكم، وضل الأمر بهم إلى حد تغيير الخلفاء، وفي هذه الظروف بسط بنو عبد الواد نفوذهم على ضواحي المغرب الأوسط ولما شعر الوالي الموحدي أبو سعيد عثمان بن يعقوب أحد إخوة المأمون إدريس بن يعقوب الموحدي، الذي أساء السيرة والتصوف مع بني عبد الواد وحاول طردهم من أراضيهم وديارهم وقام بإهانة وجهائهم وتعذيبهم وسجنهم[1]، فبعد مدة شفع فيهم أحد لمتون الكائنين في تلمسان، فردت شفاعته فأنف وجمع قومه وهجم عليهم[2]. وهنا برزت شخصية جابر بن يوسف كبير قوم بني عبد الواد حينذاك، وظهورها في الوقت المناسب، فإستطاع أن يضع حدا لهذه الإستفزازات التي كان الوالي يسلكها ضد قبيلته، فأبعد عنهم ذلك الخطر المهدد بفضل مرونته وحنكته وكفاءة قيادته، وعلى هذا الأساس تمسك به بنو عبد الواد وإنتخبوه أميرا عليهم، وبايعته أحواز تلمسان ما عدا مدينة ندرومة فزحف إليها وحاصرها وقتل بها سنة (629هـ-1232م)، فعين بعده إبنه الحسن ثم ترك هذا الأخير الأمر لعمه عثمان في نفس السنة، ثم عزل وعين مكانه أبو عزة زيدان بن زيان، وبعد وفاته قدم أخوه يغمراسن إبن زيان سنة (633هـ-1236م) والذي استقل بالحكم وعلا به صيت الدولة العبد الوادية، إذ اتخذ الآلة ورتب الوزراء، والجند واتخذ الكتاب وبعث في الجهات العمال، ولبس شارة الملك والسلطان[3].

1- عبد العزيز الفيلالي، نفسه، ص15.

2- محمد عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص112.

3- عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص- ص 15-16.

3-الإطار الجغرافي للدولة الزيانية:

عرفت الدولة الزيانية تاريخا أشبه بالمد والجزر،نظرا لمحاولات إحتوائها من قبل الدول المجاورة والمعارك الكثيرة والحصارات التي تغير حدود الدولة بإستمرار.فمن الناحية الغربية، فقد إستطاعت أن تحافظ على حدودها منذ عهد السلطان يغمراسن.

وتمثلت الحدود الجنوبية في صحراء الكبرى بداية من إقليم توات الذي كان تابعا للدولة الزيانية إلى بلاد ميزاب وعاصمتها غرداية وصولا إلى ورجلان في جنوب الصحراء[1].

أما الحدود الشرقية فهي التي عرفت تأرجحا كبيرا إذ وصل الزيانيون إلى حدود مدينة بجاية وأنشأوا بها حصنا سمي بقلعة تامزيزيدكت لنفس الاسم الذي كانت تعرف به بلاد المغرب، وهذا على عهد السلطان أبي تاشفين الأول، وكان أبوه "أبو حمو"قد ضم سنة "710هـ-1309م"مدن جزائر بني مزغنة ودلس ومتيجة ووصل بقواته إلى إقليم الزاب، وواصل أبو تاشفين زحفه إلى بجاية وقسنطينة، وحاول جعل ولاته عليها، وأقصى الحفصين عن هذه المناطق وبذلك يكون قد أوصل الزيانيين إلى حدود لم يبلغوها من قبل[2].

1--عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص ص 43-45.

2-يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1965م، ص 127.

المبحث الأول: ماهية الحرف وأهميتها

ما ميز الدولة الزيانية عن بقية الدول الأخرى هو الأعمال الإنسانية العريقة، التي ارتبط ظهورها بظهور الإنسان ومدى حاجيته إلى البحث عن الطرق الموجبة لتحصيل القوت، وتفكيره في كيفية اتخاذ مسكنه وصنع ملبسه إذ اعتبرت ثراء مهما للجانب الاقتصادي للدولة الزيانية فكل هذا راجع لمهارة الصناع و احترافهم لمختلف الأنشطة.

أولا- تعريف الحرف:

- ***لغة:*** تعددت التعريفات اللغوية لمصطلح الحرفة فمنهم من يعرفها على أساس أنها صناعة وجهة الكسب. فحرفة الرجل صنعته و حريف الرجل، معاملة في حرفته، ويقال هو يحترف لعياله ويحرف، أي يكتسب لهم[1].

وعرفها أيضا ابن المنظور[2]:المحترف، الصانع ، فلان حرفي أي معاملي. المحرف الذي نما ماله وصلح، والاسم الحرفة، وأحرف الرجل إحرافا فهو محرف، ويقال جاء فلان بالحلق والإحراف إذا جاء بالمال الكثير.

فهي كسب الإنسان فقال الفيومي: واحترف مثله و الاسم حرفة و الحريف المعامل وجمعه حرفاء وقد جاء في مصطلح الحريف في مدونات الحنفية بنفس المعنى.

وفي جامع القرار حارفه فلانا إذا بايعه وفلان حريف فلان إذا كان لا يبايع غيره وهو فعيل بمعنى فاعل[3]

بالإضافة إلى أن هناك مصطلح قريب إلى معنى الحرفة وهو الحرفة- بالضم السكون – وتعني ضيق العيش[4]

1- أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، د ط، دم، 1981.

2- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير محمد أحمد، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1999، ص 839.

3- نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء ، ط1، دار القلم، دمشق، 2008،ص177.

4- أحمد الشرباصي، المرجع السابق، ص 114.

كما عرفها أحمد فارس في قاموسه(أخذ العطاء وهو المحمول على ارتزق، وامتنح مالا . بالبناء للمجهول[1]).

أما الخزاعي فعرفها في قوله: (في المحكم حرف لأهله يحرف، كسب وطلب واحتال والاسم و الحرفة وفي الصحاح الحرفة بالكسر).

من هدا التعريف توصلنا إلى أن المعنى اللغوي لكلمة حرفة هو الكسب و الارتزاق و منها أتى اسم المحترف أي العامل الذي يشتغل بيده لكسب قوة يومه.

- ***اصطلاحا:***

من الناحية الاصطلاحية يصعب الفصل بين تعريف الحرفة وتعريف الصنعة، فالكثير لا يفرق بين هذين المعنيين:

عرفها ابن خلدون[2] فقال:(أعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران بحيث تشد عن الحصر ولا يأخذها العد، منها ما هو ضروري كالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع فكالتوليد والكتابة و الوراقة والغناء والطب).

كما عرفها عز الدين موسى [3]على أساس أنها من أهم متطلبات الإنسان الضرورية و الكمالية و هي عملية تحويلية للمواد من خام إلى مصنعة وهدا على حد قوله: (تصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به و استنباط المعادن و تصنيعها وهدا التعريف يمكن إلحاقه بمفهوم الحرفة و بمفهوم الصنعة).

1- أحمد فارس أفندي، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب ، دط، قسطنطينية، 1299، ص 555.

2-ابن خلدون عبد الرحمن ،مقدمة، ج02، مراجعة :سهيل زكار، دار الفكر، دط، بيروت، 2001، ص 508.

3- عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، دار الغرب الإسلامي، ط2، ص217.

وقد كان موقع الحرف . باستثناء التي تتطلب موقعا خاصا . في حوانيت حول السوق المركزي أو على طول الشوارع التي تؤدي إليه[1].

فلكل صنعة من الصناعات أحياء خاصة بها تتخذ عادة اسم الحرفة التي توجد فيها كما تؤدي إليها أبواب خاصة تعرف غالبا باسم الحرفة القريبة منها. فكان هناك باب الدباغين و يوجد بين مراكش و تونس يؤدي إلى الحارة التي يشتغل فيها الناس بالدباغة[2].

ومن هنا يمكن استنتاج فروق بسيطة بين الصنعة و الحرفة، فهده الأخيرة جزء من الصنعة، و الصنعة عبارة عن مهنة رسمية يمتهنها الإنسان فهي عملية تحويلية للمواد الخام وجعلها مصنعة وذلك عن طريق الآلات أما الحرفة تعتمد أولا على ما يسمى بالمواهب المتواجدة داخل الإنسان. وفي الحضارة الإسلامية ظهرت الحرفة كمفهوم لتقسيم العمل،وبدأ بروزها في أواخر القرن 2هـ.وقد قسم البعض أصناف الحرف بين : الجزار و الحاكة والفرانين و الدباغين[3].

ثانيا- أهمية الحرف:

حدثنا الإسلام واستوصى بالحرف خيرا وجعل جزاء المحترف أجرا عظيما في الدنيا

والآخرة وقد استخرجنا ذلك من بعض الأحاديث والنصوص القرآنية:

ففي حديث عمر رضي الله عنه قال: ***إن لأرى الرجل يعجبني فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني[4].***

1- كريم عاتي لعيبي الخزاعي؛ حارث علي عبد الله، أنواع الحرف في بلاد المغرب من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي المتوفى عام 941، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ، العدد 22، جامعة بابل العراق، 2015، ص413.

2- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجريين(9م/ 10)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م،ص 14.

3- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص 14.

4- ابن منظور، المصدر السابق، باب الحاء، ص839.

وفي حديث آخر: حرفة أحدهم أشد من عيلته.

فيعد موقف الإسلام و الدين من الصناعة و الحرف موقفا واضحا لا لبس فيه فالعمل كان و لا يزال هو ميزان تقدم الأمة، و المهارة في إتقانه هي مقياس الحضارة، و الوفاء بالعمل هو الهدف الذي يسعى إليه الإصلاح الاجتماعي: قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" ***إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه***". وحض الدين الإسلامي على العمل و أكد حرمته.

وجعل الإنتاج عبادة وتقربا إلى الله، بل جهادا في سبيل الله. قال تعالى:" **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنُونَ**"[1].

الاحتراف يعطى صاحبه كرامة ويمنعه من الذل والتسول ففي العمل –و إن هان –شرف للإنسان وكرامة وخير له من أن يسأل الناس ويعيش عبئا عليهم وفي هذا الحديث الشريف:

" **لئن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي به فيحمله على ظهره خير له من أن يسأل الناس**[2]".

1- سورة التوبة، ص105.

2- أسماء يخلف، تنظيم ومراقبة مجال الحرف الأسواق داخل مدن المغرب الإسلامي من خلال كتب الفقه والنوازل و الحسبة مابين القرن 3ه/ 9م إلى 9ه/15م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط، إشراف: عطابي سناء، قسم التاريخ، كلية علوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة8ماي1945 قالمة، 2017/2016م، ص35.

3- كمال صادقي، الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد 398ه/1007م، رسالة لنيل درجة ماجستير، إشراف: إسماعيل سامعي، قسم تاريخ، تخصص التاريخ الإسلامي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر،2007،ص22.

فكان الكثير من المتصوفين يعملون بأيديهم فلا يما نعهم توكلهم عن الكسب لئلا يسقط المتوكل عن درجة سنته حيث سقط عن درجة حاله. فمفهوم التوكل ارتبط عند المتصوفة بمفهوم العمل[1].

فالإسلام لا يرضى على المسلم أن يعيش عالة على غيره ولا يسمح له أن يتركب الكسب ويتكل على دعاء ليرزقه الله من غير فجاء أيضا في الحديث الشريف:" **إن الله يكره العبد فارغا فلا يقول يارب أرزقني**".

كما شكلت الحرفة آلية اقتصادية في غاية الأهمية حيث ساهمت في تقديم أشكال متنوعة من الخدمات للمجتمع في مجال المعاش و التجارة و البناء والتحويل و الرعاية الطبية..،كما كان لها دور بارز في بناء الثروة و الاقتصاد فكلما كانت الحرف كثيرة ومتنوعة في

المجتمعات كلما زادتها تطورا و ازدهارا ورقي في كل مجالات الحياة خاصة في خزينة الدول[2]، لذلك يمكن القول أن هذه الحرف كانت المرآة التي تعكس، أو الميزان الذي يقاس به درجة التطور أو التخلف لكل مجتمع ، كانت الحرفة تقليدا راسخا لدى العديد من العائلات ونظرا للأهمية البالغة التي تتمتع بها فقد أصبحت تتوارث من جيل إلى آخر، حريصة أن تبقى ملكة الصنعة وتقنياته قائمة.

المبحث الثاني: أنواع الحرف

اشتهرت الدولة الزيانية بمجموعة من النشاطات والصنائع وذلك بفضل الحرفيين الذين دعموا النشاط الاقتصادي للدولة من خلال ممارستهم لمختلف الأنشطة والحرف التي كانت سببا في التطور والازدهار والدعم حيث كانوا يتقنونها و يتفننون في صناعتها في مختلف

المجالات ولكل ذي حرفة خاصة به حسب ميوله و رغباته وتمكنه منها ومن بين تلك الحرف والصنائع التي كانت متداولة إبان العهد الزياني نذكر:

1- صناعة النسيج:

تخصصت بعض مدن المغرب الأوسط في نوع معين من الصناعات، فالصناعة النسيجية انتشرت بالمدن والأرياف، ومنها العباد[1]، التي قال عنها حسن الوزان "العباد..... وافرة السكان ....والصناع، ومعظمهم من الصباغين"[2] وعن مدينة ندرومة يقول أيضا:" وندرومة اليوم مزدهرة بكثرة الصناع فيها، وينتجون على الخصوص أقمشة جميلة وأنسجة أخرى من القطن،"[3] وقد يكون هذا التخصص عائدا إلى طبيعة المدينة نفسها وتوارث الحرف وانتقالها بين الأجيال. وكذلك نجد صناعة الحرير في شرشال وهي مستوحاة من بلاد الأندلس[4].

إن توفر القطن والصوف والحرير[5] والكتان أدى إلى تطور صناعة النسيج وانتشارها في العديد من المناطق من الدولة الزيانية خاصة في البوادي حيث كانت تمارس القبائل العربية صناعة النسيج بفضل توفر المادة الأولية ووجدت صناعات متركزة في الأرياف مثل

صناعة الزرابي الذي يغلب عليها الطابع النسوي[6]، وغالبا ما كان السكان يكتسبون من الفلاحة الصوف يتفننون في عمل الأثواب الرقاق فتلقى الكساء والبرنس عندهم من ثمانية

1- العباد: مدينة صغيرة شبه ريف، تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان. وقد دفن بها ولي كبير ذو صيت شهير يسمى سيدي بومدين، ينظر: حسن الوزان

2- حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983،ص 24 .

3- مارمول كربخال، إفريقيا، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1988،ص ص296 ،297.

4- عبد الكريم حساين، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (7 .9هـ / 13. 15م)، دورية كان التاريخية، العدد السابع عشر، سبتمبر2012،ص94 .

5- مختار الحساني، تاريخ الدولة الزيانية، الجزائر،الحضارة للطباعة والنشر، ط1، 2007، ج2، ص9.

6- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف،ج5، ص194.

أوات والأحرام من خمس[1]، وكانت حياك الدولة الزيانية و الزرابي و المناديل تباع لتجار الدول الأوروبية[2] و الإسلامية .

2- *صناعة الألبسة*:

ازدهرت صناعة الألبسة في الدولة الزيانية بفضل الخياطين وأصحاب الحياكة الذين كانوا يتقنون ويمتهنون حرفة الخياطة من أجل توفير الألبسة والأقمشة المطلوبة آنذاك وأغلبها كان مصنوع من الصوف و القطن والحرير، ومن بين النماذج التي نسوقها للتدليل على هذا التطور:

2-1: لباس الصناع:

اختلف لباس أرباب العمل والصناعة عن لباس التجار في الدولة الزيانية فلباس الصناع أقصر من لباس التجار، وربما كان للمهنة وممارستها دور في ذلك فطبيعة عمل كل شخص تختلف عن الأخر فلم يكن جميع الصناع يضعون العمائم على رؤوسهم وان كانوا يضعون قلنسوة على الرأس بدون ثنايا، ولبسوا حذاء حتى نصف الساق، ولباس الصناع و الحرفيين على العموم لباس فاخر ولائق[3].

2-2: لباس التجار:

1 -الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، تقديم: محمد الميلي، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية، جزءان، 2004م، ص 1042.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص92.

3- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، 21/2، خالد بالعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمرا سن بن زيان، دراسة تاريخية وحضارية، ط1، ص237.

يرتدي التجار الحضريون لباسا جميلا يكون أحسن أحيانا من أهل فاس لأنهم أكثر أناقة وسخاء [1]، أما عن لباس الفقهاء والمتصوفة فورد أن سيدي أحمد لغماري {ت874هـ / 1469م} كان يلبس قباء من صوف و هو المسمي في الزمان بالتشامير وكساء وبرنسا و عمامة كتان خشنة بالإضافة إلى الجلابة والسراويل.

وقد أورد لنا ابن مرزوق الخطيب ملاحظة مهمة تخص حرفة الحياكة على عهد الأمير المريني أبي سعيد (753/749هـ -1352/1348م)، وهي أنه كان يؤتى بثياب الصوف التلمسانية الخالصة فيتخير أجودها و يعطيه لمجالسيه، ويتخير لنفسه أدناها، فإذا لبست تميز ما يلبسه من بينها حتى يقسم المقسم أنها ليست من جنسها[2].

حيث انتشرت صناعة الملابس التي كانت تصنع من ريش الأنعام[3] وكان يصبغ بمختلف الألوان ثم أصبح يستعمل في تزيين القبعات و تجميل الشعر و القلائد و الأساور[4] ، حيث اشتغل سكان في صناعة كميات كبيرة من القماش الخشن و عرف هذا النشاط الصناعي باستعمال الكبير للقنب و الكتان.

3-*صناعة الفخار*:

تمثل هذه الصناعة المرتبة الثانية بعد حرفة النسيج، وقد عرفت ندرومة ببلدة القدور[5].

1- حسن الوزان، المصدر السابق، 21/2.

2- إيمان عيادي ، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط من خلال كتاب الرحلة،(04-09هـ/10-15)، إشراف : أمحمد بختي، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص تاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة يحي فارس، المدية، 2016/2015م، ص61.

3- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005،ص340.

4- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج1، ص85.

5- كاظم موسى محمد الطاني، محاضرة . دور العوامل الجغرافية والبعد الحضاري والاجتماعي لمدينة ندرومة . الملتقى الدولي السادس حول تاريخ ندرومة، مدينة عبد المومن مجتمع أنثروبولوجيا و ذاكرة ندرومة 26/24 مارس 2011، ص9.

وقد ازدهرت هذه الصناعة نتيجة استعمالها من قبل كل الطبقات الاجتماعية سواء أواني الاستعمال المنزلي من كؤوس وأقداح وأطباق وأباريق، أو أواني حفظ المؤونة أو السيول كالزيوت والسمن وغير ذلك من المواد السائلة[1]. وكان بالدولة الزيانية أفران خاصة بالفخار أين ظهر حي بأكمله هو حي الفخاريين في الركن الشمالي الغربي من مدينة تلمسان[2].

أما عن مراكز صناعة الفخار في تلمسان فتبعد كثيرا عن باب العقبة[3]، حيث توجد أثار أفران لصناعة الفخار وحطام الأفران بباب القرميد ين أين كان يصنع الفخار والخزف والقرميد وبالدولة الزيانية، وهذا ما أعطى لهذا الباب اسمه[4]، وكان القرميد يصنع الطين وبعد جفافه يطلى باللون الأحمر أو الأخضر اللامع، ومما ساعد على ازدهار هذه الحرفة هو استعمالها من قبل كل طبقات الاجتماعية .

3-صناعة الجلود:

وجدت رواجا كبيرا من سكان الدولة الزيانية وتكاد تكون في الأغلب مدن وبوادي المغرب الأوسط وهذا ما يؤكده عبد الرحمن ابن خلدون بقوله:"..... فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه، و الجلد في فرزه ودبغه، فأنهم لم استحضروا بلغوا فيها المبالغ، لعموم البلوى فيها، وكون هذه السلع في قطرهم..."[5].

1- خالد بالعربي، مرجع سابق، ص239.

2-مختار حساني، تاريخ الدولة، 95/2؛ عبد العزيز فيلالي، تلمسان، 123/1؛ محمد شاوش ، باقة السوسان لتعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان (اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا و علميا و أدبيا)،ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص 330.

3- مختار حساني، مرجع سابق ، 95/2؛ عبد المالك موساوي، المرجع السابق، ص12.

4- مختار حساني، المرجع السابق،96/2؛ خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 239.

5- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص507.

وقد صنعوا من الجلد سروج الخيل والأحذية و قرَبْ الماء، وكان للجلد مدبوغ أهمية خاصة في كتاباته كما أشار ذلك المقدسي[1].

وقد كان سعر الجلود تختلف بين المدن الزيانية فقد بيع في مدينة مستغانم 730هـ/ 1331م مئة و أربعون من جلود الثيران بمائة دينار، بينما الخرفان جلدها أرخص[2].

5-الصناعة الخشبية:

عرفت هي الأخرى تطورا ملحوظا، وكان من مصنوعات سكان الدولة العبد الوادية من الخشب، الخزائن والأبواب والنوافذ، ويبدوا أنها كانت متأثرة بالصناعة الأندلسية[3].

كما صنع سكان المنطقة أوعية خشبية التي تستخدم في نقل الحليب.

ومن بين الآثار الباقية التي تبرز لنا صناعة الخشب وتطورها تلك (الثريا) التي أهدها يغمرا سن بنو زيان إلى مسجد تلمسان، ويحتفظ متحف المدينة ببقايا منها حاليا[4]، ومن الصنائع الخشبية في مليانة[5] إلى جانب مراكب الصيد من سفن و قوارب، بالإضافة إلى الأسلحة الحربية و الأقواس التي تصنع من شجرة الزان خاصة[6] وفي ذكر ابن أبي الزرع في كتابه الأنيس المطرب، أن مرسى وهران وهنين اشتركا مع تونس في صنع مئة قطعة (سفينة)[7]، وهذا لا يعني الشراكة في الصناعة وإنما في العدد فقط.

1- المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد محزوم، دار إحياء التراث، بيروت1987م، ص120.

2- لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية في القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،1987م، ص25.

3- مختار حساني، المرجع السابق ، ج2، ص 254.

4- عطاء الله دهينة و آخرون، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

5- حسن الوزان، المصدر السابق، ج3، ص364.

6- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 117.

7- ابن أبو زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض الفر طاس في معرفة ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، إشراف: عبد الوهاب بن منصور، ط2، ج3، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م، ص 164 ،ص 165.

6-الصناعة المعدنية:

أولى سكان بلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني اهتمامهم بمختلف الصناعات، لاسيما و أن المنطقة كانت تزخر بشتى أنواع الثروات الطبيعية منها و المعدنية[1]، فنجد خام الحديد والفولاذ قرب هنين ووهران[2]، ومن أهم الصناعات المعدنية التي استخدمت في العديد من الصناعات مثل: صناعة الأسلحة التي شملت السيوف وغيرها من أدوات القتال، كما صنع منه الأبواب و الفؤوس والمحاريث و غيرها[3]. ومن بين المدن التي كان سكانها يشتغلون بها مدينة تفسران، التي قال عنها حسن الوزان:" تقع على بعد نحو خمسة عشر ميلا من تلمسان، فيها حدا دون كثيرون ..... أهلها لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان"[4]، أما صناعة المعادن الثمينة ذهبا أو فضة كانت دوما من اهتمامات اليهود[5]، وقد وقد استخدموا من معدن النحاس الكثير من الأدوات كالحلي والأقراط و الخلاخل[6].

7-الزخرفة والنقش:

ومن أجمل الأمثلة على حرفة الزخرفة والنقش تذكر زخارف الجصية التي نراها في مدينة تلمسان في مسجدها الجامع إذ توجد زخارف رائعة في أجزاء متعددة من المسجد، و لعل أروعها العقود التي تحتوي على زخارف نباتية محفورة في الجص بعضها مخرم يمر الضوء من خلال ثقوبه[7]، ويمكننا تتبع حرفة الزخرفة والنقش من خلال منجزات عمرانية خاصة المساجد التي تنافس السلاطين الزيانيون في تزيينها ومنها:

1- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح: إسماعيل العربيين ،ط3، ج1،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص115.

2- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج2 ، ص93.

3- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص98.

4- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24.

5- عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان خلال الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي، منشورات تالة، الجزائر، 2011، ص 31.

6- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 116.

7- محمد عبد العزيز،التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر، 1987م، ص90.

مسجد العباد والذي رغم صغره يتجلى فيه جمال زخرفته الهندسية المغربية وجمال الزخرفة النباتية وروعة الخط الكوفي، حيث تقرأ عبارة الحمد لله على نعمائه، قد نقشت فوق أرضية غنية بالزخارف النباتية الجميلة[1]، أما مسجد سيدي أبي الحسن ففيه امتزاج الزخارف النباتية بالزخارف الكتابية بصورة أخذت[2]، وهناك نقش يبين لمن بني هذا المسجد نصه:" بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و على اله وصحبه وسلم تسليما، بني هذا المسجد للأمير أبي عامر إبراهيم ابن السلطان أبي يحي يغمرا سن

بن زيان سنة ست وسبعين وستمائة من بعد وفاته رحمه الله[3]" وتدخل في إطار الزخرفة عملية التزلج هو التبليط بالخزف[4].

8- صناعة مواد البناء:

تطورت صناعة مواد البناء في عهد الدولة الزيانية لوفرة الأيدي العاملة الأجنبية سواء من الأندلس أو الدولة الأوروبية[5]. وقد شهدت هذه الصناعة رواجا وتطورا في عهد العاهل الزياني يغمرا سن مثل الآجر والقرميد اللذان بنيت بهما المساجد الدولة العبد الوادية، في حيث قام السلطان يغمرا سن بتشييد مئذنة مسجد أغادير استكمل الجزء الأعلى منها بالآجر الأحمر[6].

1- محمد عبد العزيز، مرجع نفسه، ص90.

2- مرجع نفسه، ص90 .

3- مبارك بوطارن، الموروث الإسلامي لتلمسان، ط1، الجزائر، طبع بدعم من وزارة الثقافة، 2011م، ص84.

4- التنسي، (ت 899هـ / 1494مِ)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من كتاب نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1985، ص140.

5- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص96.

6- خالد بالعربي، المرجع السابق، ص240.

المبحث الثالث: عوامل ازدهار الحرف في الدولة الزيانية

لقد شهد العهد الزياني تطورا وذلك من خلال نشاط ومهارة الصُناع، بالإضافة إلى الدوافع والعوامل التي كانت سببا في انتشار الحرف وممارستها داخل المجتمع التلمساني حيث كانت المقومات والعوامل كفيلا بازدهار ورفع الجانب الاقتصادي عامة والصناعي خاصة ومن أبرز العوامل التي ساعدت على ازدهار الحرف نجد:

أولا-العوامل السياسية:

الدور الذي قام به السلاطين بني زيان في تشجيع وتطوير الصناعة، والعمل على إشاعة الأمن بعموم البلاد، وكان أيضا توفير الأمن حتى داخل المجالات الاقتصادية الحيوية من أهمها الأسواق، وذلك من خلال مراحل الرخاء، وهذا بالرغم مما شاهدته هذه المرحلة من ضغوطات و أوضاع أمنية متردية، تكررت فيها تدخلات بني حفص وحملات بني مرين وتمرد القبائل المختلفة[1].

فنجد أباتاشفين حمو رغم جنوحه إلى ملذات ولهو الدنيا، إلا أنه كان مولعا بتشييد المصانع، وأبوحمو موسى الثاني كانت دار الصناعة نموذج في عهده بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم[2].

اهتمام أمراء بني زيان رغم اختلاف ميولهم و أهوائهم بالجانب الصناعي للبلد من بينهم أباتاشفين[3].

الهجرة الأندلسية التي جاءت تبعا لأحوالها السياسية الداخلية والخارجية، ومدى توفر الأمن

1-رشيد بورويبة و آخرون، المرجع السابق، ص381.

2- التنسي، المصدر السابق،ص 162.

3- ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج2، ص 132. 133.

في بلاد المغرب. حيث شهد القرن 07 هجري استيلاء المسيحيين على بلاد المسلمين في الأندلس و الكثير من مدنها فانطلقت هجرات كثيفة منها صوب بلاد المغرب حيث تركز الوجود الأندلسي في المدن الكبرى.

المقومات والمؤهلات البشرية التي ساعدت على تطور وازدهار الحرف والصنائع

. توفر العمال المهرة من الأسرى و الرهائن داخل تلمسان مما شجع السلاطين على استثمارهم.

. حاجة الدولة للصناعات وخاصة العسكرية بسبب كثرة الحروب مع جيرانها .

. نشاط الحركة التجارية بين الشمال والجنوب القائمة على تسويق المصنوعات[1].

ثانيا-العوامل الطبيعية:

ومن بين العوامل التي ساهمت أيضا في ازدهار الحرف في العهد الزياني توفر المواد الأولية كرخام الحديد الذي كان يستخرج من مدينة تلمسان[2] والذي يسمح بقيام صناعة معدنية بالإضافة إلى توفير بعض المواد المحلية كالصوف والحرير والقطن والكتان والجلود والأخشاب والخزف[3]، وفيما يخص هذا العامل أيضا فالظاهر أن بلاد المغرب الأوسط كانت

1- حمزة بختي، الأهمية الاقتصادية للمرافئ بالمغرب الأوسط في العهد الزياني(633-962هـ/1235-1555م)، إشراف: دلباز ،مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، 2014/2013م، ص 25.

2- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج2، ص 323.

3- ابن خلدون يحي، المصدر السابق، ج2، ص 324.

أوفر حظا من بلاد المشرق، إذ اشتهرت بثرواتها المعدنية الضرورية لقيام الصناعة آنذاك[1]، فضلا عن المواد الأولية النباتية والحيوانية فمن المعدنية تواجد الحديد بجبال تيفسرة جنوب تلمسان والزنك والتوتياء بجبل الونشريس[2].

إضافة إلى العقار الذي تواجد على حواف الأنهار وكان يدخل كمادة أولية لصناعة الأواني

الفخارية، أما الحيوانية فنجد الجلود من الأبقار والخرفان والأصواف من الماشية والأوبار من الإبل والماعز[3].

توفر المواد الزراعية التي تحتاج إلى تحويلات صناعية خفيفة مثل : الفواكه و الصوف....

وغيرها من صناعات.

و ما يمكننا استنتاجه أن مهارة الصُناع ونشاطهم الدائم كان لهم دورا بارزا في تطور

و ازدهار النشاط الصناعي في الدولة الزيانية، وذلك من خلال الخبرات الصناعية وتنوع الحرف والمهارات الحرفية في مختلف الأنواع ومدى أهميته خلال العهد الزياني والدوافع السياسية والتدخلات البشرية في مختلف الأنشطة الاقتصادية والعوامل الطبيعية التي كانت هي أيضا من الدوافع التي دعمت الحرفيين لامتهان أنشطتهم في عدة مجالات .

1- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال منشأة المعارف، الإسكندرية،1995، ص 441.

2- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص24،45.

3- إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية و الاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع دول جنوب غرب أوروبا في الفترة (ق7 -ق10 هـ / 13- 16م)، أطروحة دكتورا، جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ،قسم التاريخ وعلم الآثار، 1434- 1435هـ/2013 -2014م ، ص85.

مثلت بعض الحرف والصنائع في المجتمع الزياني القاعدة الإنتاجية للمدينة، بما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك باستغلال وتحويل المواد الأولية فلاحية كانت أو معدنية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق.

المبـــحث الأول: النشاط الصناعي

كانت الحرف والصناعات في مدينة تلمسان مختلفة ومتنوعة، تعددت معها أصناف الحرفيين والعاملين في القطاع الصناعي والحرفي، وما إليهم تميزوا بالنشاط والمهارة في إتقان صناعتهم ومنتجاتهم الحرفية والتقليدية، التي عرفت تطورا ملحوظا في عاصمة بني زيان، حيث أنها كانت تتميز بنظام الطوائف الحرفية المتخصصة، وهو تنظيم شعبي يعرف بنظام النقابات أو التحالفات المهنية.

1/ الحياكة والخياطة:

ازدهرت صناعة النسيج في الدولة الزيانية بسبب وفرة مواد الخام، خاصة الصوفية والقطنية حيث كان الحرفيون يجتهدون في صناعة الأقمشة والأغطية والبسط والزرابي، والبرانس، التي وصلت شهرتها إلى خارج الدولة الزيانية [1].

كما تعتبر هذه الحرفة ضرورية في العمران لحاجة الناس إليها، فالحياكة هي نسيج الغزل من الصوف والكتان والقطن والحرير [2]، وأهم المدن الزيانية التي تشتهر بحرفة حياكة الصوف نجد تلمسان والتي قال عنها الزهري: "وهي دار مملكة

1-البسط: الصوفيات وهي سجاجيد وأغطية وثياب، وليس بها إلا الزخرف الهندسي ذو الخط المستقيم ينظر:الكعاك عثمان، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، مصر، منشورات معهد الدراسات العربية العلمية، 1965م، ص 72.

2- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص262.

يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحار يم الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة وغير ذلك .."[1].

أما يحي ابن خلدون والذي كان معاصرا للدولة الزيانية فإنه تحدث عن مصادر عيش الزيانيين قائلا:"غالب تكسبهم الفلاحة وحَوْكُ الصوف، يتغلبون في عمل أثوابه الرقاق فتلقى الكساء أو البرنس عندهم ثماني أوراق، والأحرام من خمس، وبذلك عرفوا في القديم والحديث، ومن عندهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا...وهذا من بديع ماخص به أهلها من جميل صنعهم. ومنها يجلب نقي الصوف والأكسية، لسروج الخيل إلى بلاد المغرب والأندلس..."[2].

أشتهر الحرفيون بحرفة الحباكة والتي تدخل في إطار حرفة النسيج وهي صناعة زخرفة الثياب كالبرانس والجبب المعروفة بالقنادير والحزامات وغيرها، بخيوط الحرير أو من الذهب أو الفضة وهي حرفة رائجة بتلمسان [3].

الخياطة فكان الحرفيون يقومون بتفصيل القماش إلى قطع متناسبة بحسب الشخص الذي سيرتدي اللباس، تأتي عملية الخياطة وقد شرح إبن خلدون هذه العملية في قوله: "لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل بالمقراض قطعا مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أو تنبيتا أو تفسحا على حسب نوع الصناعة.."[4].

2/الدباغة والصباغة :

الدباغ ما يدبغ به الجلد، وأشار ابن خلدون لحرفة الدباغة في قوله:"والجلد في غرزه ودبغه " وتكاد تكون حرفة دباغة الجلود وصناعتها في أغلب مدن الدولة الزيانية وبواديها لسد حاجيات السكان وهي مرتبطة بالجزارة[5]، أما الدباغون فمنهم الذين

1- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص237.

2- المرجع السابق، ص228.

3- محمد بن شاوش، المصدر السابق، ص333.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص262.

5- ابن منظور، المصدر السابق، ص138.

يعدون الجلود للدبغ من حيث إزالة الشعر من الجلد وإعداد السحيق اللازم للدباغة[1] وهناك من يقوم بتلوين الجلود بألوان مختلفة وقد قام الحرفيون باستغلال الجلود في عدة صناعات فهناك من استخدمها في صناعة السفن والبعض الآخر استخدمها في صناعة الأحذية فالخرازون يشترون الجلود ويصنعون منها أحذية تدعى البلاغي وهي ثلاثة أنواع :المسرحة لأهل البادية، والمشربلة للحضر، والريحية للنساء خاصة وهذه الأخيرة مطرزة بأسلاك الذهب أو الفضة أو الحرير وتنتعل في الولائم[2].

و فيما يخص الصباغة فقد نمت هذه الحرفة بطريقة متوازية مع حرفة النسيج وعاشا دائما معا، ومن الطبيعي أن تزدهر الصناعة من نسيج وأصباغ وغيرها حيث توجد مواردها الأولية، وتستخلص الأصباغ من مصادرها النباتية والحيوانية، وعرف الحرفيون الزيانيون الكثير من فنون الصباغة وكشفوا أسرار المواد الكيماوية المستخدمة في تثبيت الألوان.

ودليلنا في ذلك ما وصلت إليه هذه الحرفة من ازدهار خاصة في المناطق المحيطة بتلمسان، أين وجدت مهنة صباغة الأقمشة بإستخدام مواد مصبغة خاصة مثل النيلة وورد النيل، والسماق، ولحاء شجر معين، ونبات الخزامى الذي يكثر في تلمسان[3].

3/النجارة :

ويقوم على هذه الصناعة النجار، ويحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولا إما بخشب أصغر منه أو ألواح عن طريق الخرط، ثم تركب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعته إعداد تلك الفصائل بانتظام إلى أن تصير الأعضاء على الشكل المخصوص، وكان الحرفيون المختصون في حرفة النجارة يصنعون الصناديق والخزائن والمحامل وآلات الخرازة والحياكة كالمنسج والأبواب والشبابيك وغيرها[4].

1- مختار حساني، المرجع السابق، ص93.

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص135.

3- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص94.

4-محمد بن شاوش، المرجع السابق، ج1، ص335.

حيث اجتهد النجار بالنقش على الخشب والجبس في أعمال النجارة وترصيعها بالمعادن الثمينة، أحد أبرز الجوانب الفنية في تداخل المواد المستعملة والتحكم في أشكالها وطابعها الجمالي[1].

4/التعدين:

ومن بين أهم المعادن التي عمل الزيانيون على استغلالها في حرفهم معدن الحديد. بمدينة هنين التي قال عنها مارمول: "توجد بها معادن كثيرة الحديد والفولاذ..."[2] ، وكان السكان يعجبون بالصناعة ويقبلون على تعلمها، فازدهرت الصناعة وانتشرت بأرجاء الدولة الزيانية، فانتعشت معها الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وعليه ازدهرت حرفة الحدادة والنحاس والصفارة والصياغة[3].

فالحدادة أو القين الحداد، والجمع القيون تتوفر الدولة الزيانية على مادة الحديد التي تستخرج من عدة مدن منها تلمسان[4]، وقد أشار الحسن الوزان إلى أن مناجم الحديد بمنطقة تفسره كانت تستغل من طرف أهالي تلك المنطقة الذين يستخرجون الحديد منها[5]، حيث استخدمت في كثير من الصناعات مثل: صناعة الأسلحة التي شملت السيوف وغيرها من أدوات القتال، كما صنعت من الحديد أبواب المدينة وتحصيناتها، واستخدمت منه الأدوات البسيطة كالسكاكين ومقابض الأبواب والفؤوس والمحاريث...

1- الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون، ص11.
2- مارمول كربخال، المرجع السابق، ص296-297.
3- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص81.
4- مارمول كربخال، المرجع السابق، ص323.
5- حسن الوزان، المصدر السابق، ص24.

أما فيما يخص النحاس فكان يصنع من الأدوات المنزلية ولوازم الخيل من اللجام وحلقة القدم والحلي والأقراط[1].

5/الزخرفة والنقش:

وقد امتاز العهد الزياني بتطور وتنوع حرفة الزخرفة والنقش على الخشب وهما في حد ذاتهما من الفنون التي اشتهرت في هذا العهد، ومن أجمل الأمثلة على حرفة الزخرفة والنقش نذكر الزخارف الجصية التي نراها في مدينة تلمسان في مسجدها الجامع، حيث تفنن الحرفيون في هذه الحرفة بالأخص في المساجد حيث يوجد زخارف رائعة في أجزاء متعددة منه، ولعلى أروعها العقود التي تحتوي على زخارف نباتية محفورة في الجص وروعة الخط الكوفي وتدخل في إطار الزخرفة عملية التزليج وهو التبليط بالخزف، وقد أضاف الحرفي إلى حرفة الزخرفة والنقش والترخيم حرفة وضع الأشرطة الكتابية والتي أمدتنا بمعرفة التسلسل التاريخي الصحيح للخلفاء والسلاطين والملوك[2].

المبحث الثاني: النشاط التجاري

تعتبر الأسواق من المرافق الحيوية والضرورية لأي دولة ولا تقتصر أهميتها في كونها مجالا لتبادل السلع والمنافع، بل إنها تعكس ذلك التفاعل الاجتماعي بين عناصر اجتماعية مختلفة، فهي ترتاد من قبل العامة والخاصة، والصغار والكبار، والنساء والرجال يوميا، إذ تعكس بالفعل ذلك المزيج وتجسده على شكل مجموعة بشرية اجتمعت في مكان معين بغرض البيع والشراء وبهدف إنماء علاقاتها التجارية.

1/ أنواع الأسواق:

إن الحديث عن الحركة التجارية في الدولة الزيانية مرتبط أساسا بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد، حيث تمثل الأسواق مركزا للنشاط التجاري بصوره ومراحله المختلفة. فالأسواق هي مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصادية وعنوان نشاطها

1- مختار حساني، المرجع السابق، ص98.

2- محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص140.

التجاري والصناعي بل والاجتماعي أيضا، حيث تتجمع كل طائفة في مكان واحد، وتسمى بنوع الحرفة أو التجارة التي تمارسها لأن أصحاب الحرف هم تجار في نفس الوقت، ولهذا يوجد ثلاثة أصناف من الأسواق التي كان ينظمها المجال الاقتصادي في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني[1].

أولا: الأسواق اليومية:

كانت منتشرة في كل مدن الدولة الزيانية وهو مايؤكده يحيى ابن خلدون عن سوق أجادير بتلمسان التي كانت تباع فيها مختلف السلع والبضائع يوميا فقد ذكر أن الحباك مر بسوق أجادير فوجد الخبز بها يباع فأخذ خبزة وعرضها مناديا على من يرد التصدق عليه فيشتريها له، وبموضع آخر كان بتلمسان سوق يومي يدعى سوق منشار الجلد[2].

ثـانيــا: الأسواق الأسبوعية:

كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع، وكانت تعرف باسم ذلك اليوم، حيث كان يبنى السوق في صباح ذلك اليوم، ويفض في آخر النهار من اليوم نفسه، ونسوق في هذا الصدد السوق الذي كان يقام بمعسكر كل يوم خميس، يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب، والزيت والعسل والكثير من المنتجات المحلية[3]، وسوق بقلعة هوارة كان يقام كل يوم سبت تباع فيه الخضر والفواكه، واللحوم والمواشي والزرابي[4]، وقد أشارت بعض المصادر الجغرافية المتقدمة إلى مثل هذا النوع من الأسواق بالمناطق الداخلية حيث كان يقام سوق في يوم معلوم بمازونة، يجتمع فيه الأهالي بضروب الفواكه والألبان والسمن والعسل الذي ينتج بكثرة في المنطقة[5].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص220.

2- مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص48-49.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص26-27.

4- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 223.

5- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988، ص128.

كما كانت بمدينة شلف سوق يقام كل يوم جمعة[1]، وبالقرب من تنس كانت تتواجد مدينة صغيرة سميت باسم السوق التي كانت بها وهي سوق إبراهيم الأسبوعية. كما كان لمليانة سوق يدعى سوق كرام[2].

ثالثا: الأسواق العسكرية:

كانت تصحب عادة الجيش في تنقلاته أثناء غزواته، لكن المعلومات التاريخية حولها تبقى قليلة، ولا ندري لماذا صمتت المصادر الزيانية عن إفادتنا بهذا النوع من الأسواق، ويبدو أن هذه الأسواق كانت تتبع سير اتجاه الجيوش الغازية[3].

وإلى جانب عنصر التنظيم الخاص بالتوقيت الذي كان يتراوح بين اليوم والأسبوع، عرفت أسواق الدولة الزيانية تنظيما على الأمكنة التي قسم إليها السوق حسب نوعية البضائع المعروفة للبيع أو حسب الحرف مثل: سوق الغزل وسوق الدرازين، والعطارين وسوق الحدادين، وسوق الخضر والفواكه وسوق الخرازين، والخياطين والنساجين، والصباغين وغالبا ما كان اجتماع الدكاكين والحوانيت في شارع رئيسي يجمع حرفا متعددة أو متكاملة يجعل من هذا الشارع سوقا يسمى بنوع النشاط المزاول فيه، فدروب العباد انتشرت فيها مختلف الدكاكين والحوانيت فكانت معظمها للصباغين[4]. والمرجح أن معظم مدن الغرب الإسلامي عرفت تنظيمات مماثلة ومن مظاهر تنظيم الأسواق كذلك، وجود القيسارية المتخصصة في بيع الأثواب والمنسوجات الحريرية أو الكتانية وبيع العطور وأنواع التوابل وكل ما يحتاجه الزبون[5].

1- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك،د ط،دار الكتاب الإسلامي، مصر، د ت ، ص29.

2- ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص89-90.

3- حسن الوزان، المصدر السابق، ص17.

4- التنسي محمد بن عبد الله، المصدر السابق، ص286.

5- حسن الوزان، المصدر السابق، ص64.

2/ التجارة في الدولة الزيانية:

كانت مدينة تلمسان بحكم موقعها المنتهي والمنطلق في نفس الوقت لطرق التجارة، منطلقا للبضائع القادمة من أوربا وغيرها من البلاد المسيحية كالسلاح، ومنتهى للبضائع الصحراوية وفي مقدمتها الذهب والعاج والتوابل، وبفضل موقعها استطاعت أن تخوض غمار التجارة رغم الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار، حيث عرفت ازدهارا عظيما ورخاء اقتصاديا كبيرا في فترات السلم لتوفر الأمن واستغلالها لمؤهلاتها الطبيعية[1]. وتنقسم التجارة بالدولة الزيانية إلى:

أ/ التجارة مع باقي دول المغرب الإسلامي والسودان الغربي:

ارتبطت الدولة الزيانية مع بلاد المغرب الإسلامي بعلاقات تجارية مزدهرة فمحمد بن مرزوق قال: "حدثني عمي...أن قافلة وردت تلمسان من تونس وكانوا يجلبون ثياب الكتان ويحملون ثياب الصوف..."[2] إلا أن ازدهار النشاط التجاري كان مرتبطا بالأحوال السياسية، وكان تجار الدولة الزيانية يجولون ويجوبون المدن المغربية، ويصلون إلى بلاد السودان الغربي مع القوافل، منهم التاجر الحاج زيان كان في قافلة ابن بطوطة فذكره قائلا: "وكان في القافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان..." وكانت تلمسان تصدر سلعا وصفها ابن سعيد المغربي قائلا: "ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب، وتحمل منها أَلْجُمُ الخيل والسروج وما يتبع ذلك.."[3]. كسب منها تجار تلمسان أرباحا كبيرة، وفي المقابل

1- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص241.

2- أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(ت781هـ)، المناقب المرزوقية، تح:سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ/2008م، ص294.

3- ابن السعيد أبي الحسن المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص140.

كانت تلمسان تستورد الجلود وتبر الذهب والعبيد والسمن والملح وأنياب الفيلة وريش النعام وعظامه وحجر النيلة وبعض الأدوات[1].

مدينة تيزيل: كانت بين تلمسان علاقات تجارية مع السودان، فقد كانت مدينة تيزيل الواقعة جنوب تلمسان منطلق القوافل إلى سجلماسة[2] وورقلة ومنها إلى السودان، ومن السلع التي كانت تستوردها الدولة الزيانية من السودان: الذهب،ريش النعام، العاج والرقيق[3]، وكان التلمسانيون يتخذون لأنفسهم مندوبين تجارا بأسواق توات والصحراء، يحددون لهم الأسعار الرائجة ويرسمون لهم السلع المطلوبة التي ينبغي أن يعدوها ويرسلوها إلى الصحراء، لكثرة الطلب عليها، ويتكفلون مقابل ذلك بشراء سلع الصحراء المطلوبة لهم في الشمال، ونظمت التجارة في شكل قوافل تجارية، وكان السودانيون يأخذون المنسوجات التلمسانية[4]. ووصف عبد الرحمن ابن خلدون العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان قائلا: "فلا بد لهم في كل سنة من رحلة...إلى قصور توات وبلد تمنطيت، ومع ناجعتهم تخرج قوافل التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت، ثم إلى بلاد السودان..."[5].

ب/التجارة مع الدول المسيحية:

أقامت الدولة الزيانية علاقات تجارية مع الدول المسيحية، ففي29 صفر871هـ ورد إلى ساحل وهران سونه كبيرة للفرنج الجنوية برسم الاتجار بالجوخ قادمة من المحيط، وكانت التجارة تحددها معاهدات ذات نصوص واضحة، وكان لموانئ الدولة الزيانية دور كبير في نشاط المبادلات التجارية مع العالم الخارجي، منها ميناء وهران وميناء المرسى الكبير واللذان كان يختلف إليهما كثيرا عدد وافر من تجار

1- يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ص7.

2- سجلماسة: مدينة بنيت على سهل وادي أزيز، وأحيطت بسور عال مازالت بعض أجزائه باقية. كانت سجلماسة مدينة متحضرة جدا، دورها جميلة، وسكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان، ينظر: حسن الوزان، ج2، ص127.

3- عبد عزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص216.

4-نفسه، ص220.

5- عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر...،المصدر السابق، ص77.

جنوة والبندقية حيث يتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة[1]، وبلغت المنسوجات الزيانية شهرة واسعة إذ كان القماش التلمساني يباع لتجار أوروبا ويلبسه سلاطينها وأغنيائها[2]، وقد أورد أحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ) نوازل تتعلق برحلة البتر إلى صقلية وكيفية تبديل العملة المغربية مع العملة السائدة بها[3].

أما الحسن الوزان فقد وصف فئة التجار بالدولة الزيانية قائلا: "فالتجار أناس متصفون مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه، أهم أسفارهم التجارية هي التي يقومون بها إلى بلاد السودان، وهم وافروا الغنى أملاكا ونقودا..." وهذا يعني أن تجار تلمسان كانوا ميسوري الحال، وأهم المراكز هي:

تلمسان: وفيها فنادق على النمط الإفريقي منها اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية..[4].فالفنادق كانت ملكية خاصة ينزل بها التجار الغرباء من المسلمين والمسيحيين لكن نزولهم يكون مؤقتا.بحيث أن إقامة التاجر بالفنادق تنتهي بانتهاء تصديره لبضائعه وشراء سلع جديدة.

مرسى هنين: وصفه الحسن الوزان بقوله: "وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان..." [5]، ومن خلال ما سبق يتضح بأنه مرسى جيد ومقصود ويوفر للدولة مدخولا لا يستهان به، كما أن هذا الميناء قريب من المرية بالأندلس[6]، وبالتالي يسهل حركة التبادل التجاري.

المرسى الكبير: ومن موانئ المغرب الأوسط التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية في عهد الدولة الزيانية. حيث قال عنها الحسن الوزان:"المرسى الكبير مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط، بعيدة

1- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص9.

2- الكعاك،المرجع السابق، ص73.

3- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج8، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ-1981م، ص237.

4- حسن الوزان، المصدر السابق،ص-ص20-21.

5- مارمول كربخال، المرجع السابق، ج2، ص300./خالد بلعربي، المرجع السابق، ص260.

6- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 15.

ببضعة أميال عن وهران..يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المواكب والسفن الحربية في مأمن من كل عاصفة وإعصار..."[1].

1- أبو العباس أحمد القلقشندى، المصدر السابق، ص150.

المبـــــحث الثـــالـث: النشاط الفلاحي

تعتبر الفلاحة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان، ومن أقدمها وذلك لأنها تسد حاجة طبيعية لديه فهي أهم المنابع الرئيسية التي يتم عن طريقها تدبير القوت وتأمينه كما أنه عن طريق الفلاحة يتم للإنسان توفير الكثير من المواد الأولية اللازمة في قيام حرف وصنائع أخرى تعتمد على المحاصيل المختلفة والتي بها تتحرك عجلة السوق .

حيث أن للفلاحة فضل على الفرد والمجتمع، بل وعلى المجال الذي يعيش فيه، وانعكاسات ممارسة هذا النشاط على هذا المجال، فيذكر ابن الحاج العبدري أن الآكد مما على المكلف:"من الصنائع والحرف الزراعة التي بها قوام الحياة وقوة النفوس،... فالزراعة من أعظم الأسباب وأكثرها أجرا، إذ أن خيرها متعد للزارع ولإخوانه المسلمين وغيرهم، والطير والبهائم والحشرات، لذلك ينتفع بزراعته،... فما في الصنائع أبرك منها، ولا أنجح إذا كانت على وجهها الشرعي، وهي من أكبر الكنوز المخبأة في الأرض. لكنها تحتاج إلى معرفة بالفقه وحسن محاولة في الصناعة مع النصح التام والإخلاص فيها، فحينئذ تحصل البركات وتأتي الخيرات".

وأشار آخر إلى أن الفلاحة:" هي العمران، ومنها العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، و بها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال..."

وقال آخر أن أفضل المعاش في التجارة وأفضلها في الزرع والغرس والماشية[44] حيث أن الحبوب تطحن ويصنع منها العديد من أنواع الخبز والحلويات، كما أن الحبوب تساهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي.

1-لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني(633هـ-1235م/962هـ-1554م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2017-2018، ص37-38.

ولقد اعتنى أهل المغرب الأوسط في المدن والقرى والبوادي بالفلاحة وإحياء الأراضي الموات[45]حتى غدت النشاط الغالب على أهلها، وأصبح هذا النشاط هو العمود الفقري لاقتصاد الدولة الزيانية حيث يذكر يحي ابن خلدون في سياق وصفه لمدينة تلمسان:"ويعمرها من البشر ناس أخيار أولو حياء ووقار، ووفاء بالعهد وعفاف ودين، واقتصاد في المعاش واللباس والسكن، على هدي السلف الصالح–رضي الله عنهم– غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف..."، وهنا يظهر دور المرأة الزيانية وذلك من خلال نسجها للصوف وصنعها للخيمة التي كانت تعتبر مساكن لهم المصنوعة من الوبر والصوف، بالإضافة إلى زراعة القطن التي كانت تعتبر من بين المحاصيل الزراعية الهامة لما لها أهمية كبيرة في صناعة أقمشة من القطن .

فالفلاحة كنشاط امتهنته شريحة واسعة من المجتمع الزياني فهو يعتبر من أغنى المكاسب، لأن "بالغراسات والزراعة تكثر بمشيئة الله الأقوات" وعن طريقها يصل ممتهنها:"بحول الله إلى معاشه، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله،... واستعان بذلك على منافع دنياه ومصالح آخرته"[46].

فالفلاح له منفعة من وراء هذا النشاط في الدنيا حيث أنه يوفر لعياله الغذاء لهم، أما فيما يخص الآخرة فينال الأجر والثواب لأنه ييسر على إخوانه تحصيل الغذاء الضروري لحياتهم، فضلا عن تأدية فرض زكاة ما ينتج للمستحقين منهم، ولذلك " اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء".

وفي نهاية الفصل يمكننا القول أن الاقتصاد هو عصب لأي حضارة، وعامل أساسي لإستمراريتها لأنه يمثل تحديا يوميا للإنسان، وهو يشمل في معناه تدبير المعاش وإنماء الثروة لكل أنواع الكسب والإحتراف مهما تعددت الألوان وإختلفت المظاهر في جميع أنواع المهن والصناعات، وما ميز البنية الاقتصادية للدولة الزيانية، تلك الإمكانيات المتنوعة التي شكلت دعائم قوية للقطاعات المنتجة التي شملت الصناعة والفلاحة وسائر الأنشطة التجارية، حيث كشفت هذه الإمكانيات عن حيوية الموقع.

1– أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص116–117.

2–المصدر السابق، ص137.

عرف المجتمع الزياني مثل المجتمعات الأخرى تباينا في نسيجه العمراني، وصولا إلى الرخاء الاجتماعي الذي ميز الدولة الزيانية على غرار الدويلات الأخرى و مدى مساهمة الحرفيين في تطور ونمو الحياة الثقافية وإعطائهم لمسة فنية وهندسية شملت المجتمع التلمساني و ذلك من خلال عدة حرف و صنائع .

المبـــحث الأول: دور الحرفيين في توسع وتطور النسيج العمراني

إن الحديث عن الطراز العمراني والفن الهندسي لمدينة تلمسان في العهد الزياني يتطلب الحديث عن مدى مهارة الحرفيين في مختلف الصنائع لإعطائهم لمسة فنية متعلقة بتاريخ تلمسان وحضارتها التي تسمح بتكوين فكرة عن الطراز و الشكل العمراني ومدى قدرة الحرفيين والفنانين والمزخرفين والبنائين في أداء حرفتهم.

أولا–دور الحرفين في تنميق المسكن التلمساني:

العمارة الإسلامية متشابهة تحكمها ضوابط مشتركة ومدينة تلمسان في العهد الزياني كغيرها من الحواضر في بلاد المغرب منازلها لا تختلف من حيث الشكل ونمط البناء عن منازل وقصور مدن المغرب الأقصى، وإفريقية و الأندلس، فهي تخضع لضوابط ومعالم المدينة الإسلامية[1]، حيث تتشابه فيما بينها من حيث التصميم، والزخرفة التي تطورت كثيرا في العهد الزياني بسبب التلاقح المباشر للحضارة الإسلامية بصفة عامة[2].

فدور الحرفيين والصناع بارز في العمارة الزيانية وذلك من خلال مهارة البنائين ونشاطهم مما جعل منهم يتركون أثرا فنيا في المنجزات العمرانية من حيث التبليط والبناء

1– درويش بريشي، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان دراسة فنية أثرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011–2012م، ص47.

2– المرجع السابق، ص48.

يمكن أن نستلهم أو نقف على بعض الملاح العمرانية للمنزل التلمساني في العهد الزياني، فقد كان نمط المنزل و القصر يخضع إلى المستوى الاجتماعي والمالي للأسرة التلمسانية، ويتحكم في درجة أناقته وحسن بنائه[1].فالبناء كان يقوم بإنجازه للعمارات والقصور على مستوى أصحابها فالأمراء كان البناء ينجز لهم زخرفات متنوعة والتي لها معاني خاصة بمكانتهم الرفيعة على غير الأشخاص الأخرى.

المنزل التلمساني مربع الشكل في غالب الأحيان، وكانت المنازل تبنى بالحجر والطوب، وتغطى بالقش و الطين، وتزين سقوفها بالخشب الرفيع المنقوش[2].

ولكن للأسف لم يبق من هذه المنازل التلمسانية إلا بعض آثارها التي تشتهر بها مدينة تلمسان في العهد الزياني، ولم يبق من هذه الدور و القصور إلا بعض القصور

كالمشور وقصر الأمراء بأكادير والقصر القديم بجانب الجامع الأعظم، وكذلك القصور التي بناها أبي تشفين و سخر لها إمكانيات هائلة اندثرت كلها وغابت عن

الوجود. غير أن مهنة البنائين والمزخرفين لم تنتهي مدتها ولا نشاطهم القائم .

1-عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص119.

2-المرجع السابق، ص120.

كانت تحتوي المنازل على أعمدة كبيرة جميلة يرتكز عليها السقف وينتهي أعلاها بأقواس فيها عدد من المقرنصات، وكانت جدران منازلهم السفلى يكسوها الزليج الملون و أرضها مبلطة بالرخام، فكان الحرفي الذي يمتهن نشاط الزخرفة يقوم بصنع و نقش وتزين المنازل بنافورة تبدو أنيقة ينبعث منها الماء مما تزيد العمارات منظرا جذابا يعكس مهارة الزخرفي صاحب الاختصاص ، ويكون المطبخ والدرج والمحلات الخاصة في زاوية المنزل في أماكن دائما تكون مغلقة يأتيها الضوء والهواء عن طريق فتحات ضيقة وصغيرة.

وهذا ما يبرز دور وأداء الحرفيين في أداء حرفتهم من أجل إعطاء لمسة فنية ساحرة المنظر لا يتقنها أي شخص كان بل يمتهنها أصحاب الاختصاص المتقنين لمهارتهم[1].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص20.

ثانيا- دور الحرفيين في العناية الفنية والهندسية بالمساجد والزوايا :

تعتبر المساجد والزوايا من أبرز أعمال السلطان يغمرا سن بن زيان633(-677هـ/ 1239-1283م)حيث أعطى الحرفيين والصناع لمسة فنية بارزة في المساجد والزوايا مما جعل منهم ذو مكانة مرموقة آنذاك، مثال ذلك بناء الصومعتين بالجامعين الأعظمين، الأولى وقد بنيت قاعدتها بالحجر المنقوش، المجلوب من بقايا مدينة بوما ريا الرومانية ففكرة الصناع ومهارتهم أدت إلى التوسع والتطور العمراني أكثر من سابقيه ، بينما استكمل بناء الجزء الأعلى منها بالآجر الأحمر وهذا راجع إلى دور الصناع الذين يمتهنون حرفة صناعة مواد البناء وذلك من خلال صنعهم للمواد المستحقة في تلك الإنجازات ، حيث كانت هندسة الصومعة وزخرفتها متأثرة بالفن المعماري الأندلسي وزخرفته،وهذا ما لجأ إليه بعض البنائيين من أجل إعطاء هندسة فنية مرموقة ترجع أصولها للفنون الأندلسية . أما مئذنته فجاءت شبيه بمئذنة مسجد أغادير وقد بلغ طولها خمس وثلاثون مترا، وهي مبنية بالآجر من اللون البني المائل إلى الاحمرار، بما فيها الزخرفة القاعدية والجدران، كما أدخل على المسجد تعديلات وتغييرات هامة، فقام بتوسيعه حتى أصبح مستطيل الشكل، يبلغ طول ضلعه ستين مترا، وعرضه خمسين مترا، وبالتالي صارت مساحته الإجمالية نحو ثلاثة آلاف متر مربع، فجاءت عمارته تحفة فنية رائعة. فكل هذه الميزات والتحف راجع إلى مهارة الحرفيين وبراعتهم وممارستهم لمختلف الحرف الذي كان لهم دور كبير وبارز في الدفع بالنسيج العمراني للتوسع أكثر مما كان عليه فزخرفتهم وبنائهم لمختلف القصور والعمارات والمساجد وتحفها الفنية وجمالها الزخرفي أعطى منظرا مرموقا و أنيقا للدولة الزيانية على غير الدويلات الأخرى[1].

1- حدة غرابي، فن العمارة في المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط، إشراف: محمد الصديق محمودي،قسم تاريخ وسيط، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة المسيلة، 2014/2013م،ص15.

المبـحث الثانـي:دور الحرفيين فـي الحرف ذات الطابع الفنـي:

اشتهر سكان مدينة تلمسان الزيانية برخائهم الاجتماعي خلال العهد الزياني وهذا ما ميزها عن بقيتها وذلك حسب اختلاف الطبقات ومكانتهم الاجتماعية حيث أعطى الحرفيين والصناع حرف فنية بارزة ذات منظر أنيق وذلك في إتقانهم وبراعتهم في مختلف الإنجازات التي كانت توحي لتلك الفترة ومن بين النماذج التي قام بها الحرفيين نذكر الحلي و المجوهرات و الألبسة:

أولا- الحلي والمجوهرات :

كان للحرفيين وصناع المعادن دورا بارزا في التطور الملحوظ للمجتمع التلمساني مما جعلهم يتميزون برخائهم الاجتماعي ، حيث كانت النساء تضعن على رؤوسهن قبعات عالية متقنة الصنع من طرف الحرفي صاحب الاختصاص وتزين أرجلهن بخلاخل. كما تتزين بأساور تملأ أذرعهن من مفصل الزند إلى المرفق التي كانوا يكتسبهن من عند بائع المجوهرات و الحلي . حيث أهم الحرف اشتهر بها الأندلسيون واليهود في تلمسان هي صناعة المجوهرات الذهبية و الفضية، نظرا لتوفر تبر السودان والسبائك الذهبية المستوردة من أوروبا والمشرق.فالحرفيين الذين يمتهنون حرفة صناعة الحلي والمعادن والدقة في إتقانها وصناعتها كان لهم دور كبير في العهد الزياني و ذلك من خلال الرواج والتجارة وتنوع الحرف آنذاك فحرفة صناعة المجوهرات والمعادن والحلي جعل من المجتمع التلمساني يتطور ويصبح أكثر ازدهارا بدور الصناع والحرفيين الممتهنين والمتقنين لحرفتهم الذين كانوا سببا رئيسيا للرخاء الاجتماعي بالدولة الزيانية[1].

1-محمد شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان (اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا و علميا و أدبيا)،ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص38.

ثانيا- فنون تصميم الألبسة:

كان للحرفيين وفنانين تصميم الألبسة دور بارز في جانب التصميم و الفن فالعهد الزياني و ذلك من خلال اهتمام أهل تلمسان نساء و رجالا بمظهر الملبس و التأنق فيه، حيث كانوا يلبسون أحسن الثياب في مختلف فصول السنة[1]،التي كانت تحاك وتصنع من طرف الخياطين مما أدى إلى اختلاف ألبستهم من طبقة إلى أخرى من المدنيين و العسكريين و الحضر و سكان البدو، وكانت أغلبها مصنوعة من الصوف و القطن و الحرير،فدور الخياطين و أصحاب الحياكة بارز في الملبس و ذلك من حيث توفير المواد القطنية والصوفية من أجل خياطة وحياكة الأقمشة حيث قاموا بصنع أجمل الملابس وتقديمها لأصحابها ولكل فئة ملبسها الخاص وهذا راجع لمهارة الحرفيين ونشاطهم المتقن للصنائع التي تدل على البرزخ والرخاء ، و بالرغم من تحريم الفقهاء على الرجال لبس الحرير، و لكن طبقة الحكام لم يلتزموا بذلك[2]. فالطبقة الخاصة تميزت عن غيرها من الطبقات الاجتماعية، حيث اشتهرت بلبس أثواب مستوردة من الأندلس و افريقية، وكان السلطان أبو الحسن المريني يكثر من إهداء الأثواب المصنوعة بمدينة تلمسان إلى أعوانه و جلسائه[3]، وكانت ملابس السلاطين فاخرة من الحرير والديباج القطن والصوف الرفيع[4].

1- عبد العزيز فيلالي، المرجع سابق، ج1، ص267.

2- مختار حساني، المرجع سابق،ج3، ص355 .

3- خالد بالعربي، المرجع سابق،ص285.

4- الحسن الوزان، المصدر السابق،ج1، ص112.

ما أوضحه الحسن الوزان خلال زيارته لتلمسان في أواخر القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي قال: " إن ملابس سلاطين الدولة الزيانية كانت جميلة و أنيقة"[1]، وهذا إن دل إنما يدل على تميز المجتمع الزياني بهذه الملابس عن غيره من المجتمعات، كما تخضع في لونها وخفتها وخشونتها إلى فصول السنة، إضافة إلى العمامة التي كان يتعمم بها سلاطين المغرب الإسلامي، وقد ذكر في كتاب الاستبصار القريب في عهد بني زيان أن أهل بجاية كانوا متخصصين في صناعة العمائم وهي مطرزة بالذهب[2].

أما الحرفيين فكانت ملابسهم لائقة و مميزة عن بقية السكان، فكانوا يضعون ثوبا قصيرا وقليل منهم من يضع عمامة على الرأس، أما لباس المرأة الحرفية فيقول حسن الوزان:" كن يسرن في الأنهج وهن يرتدين ملابس بيضاء واسعة[3]. وكل هذا راجع إلى نشاط ومهارة الحرفيين من خلال توفير كل ما يتطلبه ويحتاجه جميع طبقات المجتمع الداعم للدولة الزيانية.

1- الحسن الوزان، المصدر سابق، ج1، ص114 .

2- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص268 .

3- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص393 .

المبـحث الثالث:دور ومساهمة الحرفيين في تطور الحياة الثقافية:

تميزت الحياة الثقافية خلال العهد الزياني بمختلف الصناعات والحرف التي كانت تهتم بالجانب العلمي والإشعاع الثقافي الذي ساهم في تنمية وازدهار معالم الحضارة من خلال ممارسة الحرفيون والصناع لمختلف الأنشطة التي كانت تساهم في تطور الحياة الثقافية إبان العهد الزياني من بين تلك الحرف والصنائع نذكر:

أولا- حرفة التوريق :

مهارة ونشاط الحرفين أعطت للكتابة دورها المتميز في ترسيخ الانجازات العلمية والأدبية، وإعادة إنتاجها من خلال فئة الوراقين يعني أن كل إنسان اشتغل مهنة نسخ الكتاب وتجليده ، أو تزويقه من طرف المزخرفون حيث أن هذه العمليات كان يشارك فيها عدد من الحرفيين وليس الوراق وحده حيث كان للصناع دور بارزا في المساهمة في دعم والتطور وحفظ الإنجازات الثقافية فحرفة الوراقة كانت لها قيمة متميزة بين باقي الحرف والصنائع التي شهدها العصر الزياني ومن ابرز المواد التي كان يعتمدها الحرفين في الكتابة والنسخ من أهمها:

1-الرَقُ: وهو نوع من الورق يصنع من جلود الأنعام كالغزلان، والماعز، والبقر، والغنم حيث يؤخذ الجلد فينظف ويدبغ ويصقل حتى يصير رقيقا ، ثم يهيأ على شكل الورق ليصبح جاهزا للكتابة عليه. فكان الحرفي الذي يمتهن حرفة التوريق خلال العهد الزياني يهدف إلى دعم الازدهار الثقافي والعلمي بمدينة تلمسان وذلك من أجل إنتساخ المصاحف، وكتابة الدواوين ، وسجلات الجند ، والخراج وغيرها[1].

1- لخضر العربي، صناعة المخطوط في المغرب الأوسط على العهد الزياني، مجلة التراث، العدد الثاني عشر فبراير، جامعة الجلفة، 2014، ص ص13،14.

ومن هنا يمكننا القول أن دور الحرفين الذي يحترفون الدباغة التي كانت بمدينة تلمسان أنتجت هذا النوع من الرقوق و لا شك أن الدكاكين الوراقين بسوق الكتب كانت تروج لهذه البضاعة وهذا ما أدى إلى الدفع بالجانب الثقافي إلى التطور أكثر مما كان عليه من خلال دعم الحرفين له وتوفيرهم لكل مستلزمات النسخ والتجليد بإتقانهم لحرفة التجليد .

2-النسخ:

ساعد اقتناء الكتب على فتح الباب أمام العديد من الأشخاص لكسب قوت عيشهم و أصبح الناسخون حرفيون و فنانين في مجال تخصصهم ، ودعمهم للجانب الاجتماعي والثقافي ، حيث ووظفوا داخل المكتبات أو في الدكاكين الوراقين ومتاجر الكتب، إن الدور الذي قام به الحرفين في حرفة التجليد والنسخ أدى إلى دفع حركة إنتاج وصناعة الكتب والمخطوطات التي بدورها أدت إلى إنتاج المعرفة ونشر الثقافة العربية الإسلامية وهذه الحرف والصنائع تعادل في زمننا هذا دور الطباعة والنشر ، وبالتالي هذه الآليات كفلت للمغرب الأوسط على العهد الزياني التطور في عديد من مجالات الحياة الاجتماعية، والعمرانية والاقتصادية و السياسية و الثقافية التي شكلت المعالم الحقيقية للحضارة التلمسانية[1].

1-لخضر العربي، صناعة المخطوط في المغرب الأوسط على العهد الزياني، ص16.

نستنتج في خلاصة فصلنا أن الجانب الاجتماعي للدولة الزيانية تطور و ازدهر بفعل نشاط ودعم الحرفين لمختلف الحرف والصنائع وإبرازهم لمدى أهمية الفنان المزخرف في إعطائه لمسة فنية في تنميق العمارة التلمسانية وتركيزه على عنايته بالفن والهندسة التي رأيناها في تجسيد البنائين والمزخرفين لمختلف الأشكال في المساجد و الزوايا ومهارة الخياطين وأصحاب حرف الحياكة في تزويد الطبقات بمختلف الألبسة والأقمشة المطلوبة حسب كل طبقة ودور صناع المعادن والحلي ما يبرز لنا مدى الدور الكبير والبارز الذي قدم للمجتمع التلمساني دعما وتطورا في التحف الفنية التي كانت منتشرة خلال تلك الفترة ودعم فئة الوراقين الممتهنين لحرف الوراقة والكتابة و التجليد والنسخ وغيرها من الحرف وإعطائهم لمسة واقعية في الوسط الاجتماعي ما جعل منها تزخر وتتطور لتصبح ذو رخاء اجتماعي أكثر رواجا وبروزا من الناحية الثقافية وكل هذا راجع لدور و نشاط واحتراف الحرفين في دعم الجانب الاجتماعي.

من خلال ما تم استعراضه من معلومات ومعطيات تاريخية في الموضوع الموسوم بـ: **الحرفيون في الدولة الزيانية و دورهم الاقتصادي و الاجتماعي**، فإننا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات و الخلاصة العلمية التي يمكن أن نلخصها في مجموعة من النقاط والملاحظات التالية:

- الكتابات التاريخية أولت اهتماما بالجانب الاقتصادي و الاجتماعي خلال العهد الزياني. حيث أعطت توضيحا حول أنواع الحرف و الصنائع ودور السلاطين و الحكام في تنشيطها والمكانة التي اكتسبها الحرفيين بالإضافة إلى المستوى المرموق التي وصلت إليه الحرف في الدولة الزيانية و اتضح لنا ذلك من خلال بحثا و دراستنا في الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية.
- دور الحرفيون في دعم اقتصاد الدولة الزيانية فمن بينهم النجارون و البناءون و الزليجون و المزينون الذين قاموا بأعمال الزخرفة وتزيين التحف وإتقانهم لمهنهم، وذلك ما تجلى في الانجازات الفنية و تطور الصناعات الحرفية التي ساهمت بشكل كبير في التقدم و التطور و الدعم الايجابي، حيث هذه الإسهامات كان ورائها دوافع وعوامل ساعدت تلك الحرف و الصنائع للبروز و دفعت بالحرفيين لاكتساب الخبرات الصناعية و المهارات الحرفية في مختلف المجالات.
- الدوافع السياسية والاقتصادية والطبيعية التي كان لها دور كبير في دعم الحرفيين و جعل أنشطتهم ذو مستوى مرموق.
- الاقتصاد عصب لأي حضارة وعامل أساسي لسيرها لأنه يمثل تحدي يومي للإنسان، وهو يشمل في معناه تدبير المعاش وإنماء الثروة لكل أنواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الألوان واختلفت المظاهر في جميع أشكال المهن والصناعات .
- ما ميز البنية الاقتصادية للدولة الزيانية هي تلك الإمكانيات المتنوعة التي شكلت دعائم قوية للقطاعات المنتجة التي شملت الصناعة و الفلاحة وسائر الأنشطة التجارية، و ذلك ما أدى إلى تسهيل عمل الحرفيون في أداء أنشطتهم و مهارتهم في إتقانها و دورهم في دعم الاقتصاد و المجال الصناعي و التجاري و الفلاحي في الدولة الزيانية حيث كشفت هذه الإمكانيات عن حيوية الموقع.

- الجانب الاجتماعي للدولة الزيانية كان متطورا ومزدهرا بفعل نشاط و دعم الحرفيون لمختلف الحرف و الصنائع وإبرازهم لمدى أهمية الفنان المزخرف في إعطائه لمسة فنية في تنميق العمارة التلمسانية، وتركيزه على العناية بالفن والهندسة التي رأيناها في تجسيد البنائيين و المزخرفين لمختلف الأشكال في المساجد و الزوايا و مهارة الخياطين وأصحاب حرف الحياكة في تزويد الطبقات بمختلف الألبسة و الأقمشة المطلوبة حسب كل طبقة اجتماعية ومكانتها.
- الدور الكبير الذي قام به صناع المعادن والحلي الذي قدم للمجتمع التلمساني دعما وتطورا في التحف الفنية التي كانت منتشرة خلال تلك الفترة.
- دور فئة الوراقين الممتهنين لحرفة الوراقة والكتابة والتجليد والنسخ وغيرها من الحرف وإعطائهم لمسة واقعية في الوسط الاجتماعي، مما جعل منها تزخر وتتطور لتصبح ذو رخاء اجتماعي أكثر رواجا وبروزا من الناحية الثقافية.

وهنا يمكننا القول أن الحرفيين كان لهم دور بارز و كبير في تفسير الجهود المبذولة من طرف سكان الدولة، للخروج من حال البداوة إلى التحضر مستعينة بأيادي حرفية، وذلك من خلال مساهمة الصناع في دعم وتطور الجانب الاقتصادي والاجتماعي للدولة الزيانية.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات **الصفحة**

- البسملة
- شكر وعرفان
- إهداء
- قائمة المختصرات
- مقدمة.....أ-هـ

المدخل:

الدولة الزيانية وإطارها الجغرافي

1. أصل بني عبد الواد.....ص7
2. تأسيس الدولة الزيانية.....ص8
3. الإطار الجغرافي للدولة الزيانية.....ص10

الفصل الأول:

الحرف وعوامل إزدهارها في الدولة الزيانية

المبحث الأول:ماهية الحرف وأهميتها

أولا: تعريف الحرف.....ص12

-لغة.....ص12

-اصطلاحا.....ص13

ثانيا: أهمية الحرف.....ص14

المبحث الثاني: أنواع الحرف

1. صناعة النسيج..... ص17
2. صناعة الألبسة.....ص18
3. صناعة الفخار.....ص19
4. صناعة الجلود.....ص20
5. الصناعة الخشبية.....ص21
6. الصناعة المعدنية.....ص22
7. الزخرفة والنقش.....ص22
8. صناعة مواد البناء.....ص23

المبحث الثالث: عوامل ازدهار الحرف في الدولة الزيانية

أولا: العوامل السياسية.....ص24

ثانيا: العوامل الطبيعية.....ص25

الفصل الـــــــثاني:

الدور الاقتصادي للحرفيين في العهد الزياني

المبحث الأول: النشاط الصناعي

1. الحياكة و الخياطة.....ص28
2. الدباغة و الصباغة.....ص29
3. النجارة.....ص30
4. التعدين.....ص31
5. الزخرفة و النقش.....ص32

المبحث الثاني: النشاط التجاري

1. أنواع الأسواق.....ص32
أولا: الأسواق اليومية.....ص33
ثانيا: الأسواق الأسبوعية.....ص33
ثالثا: الأسواق العسكرية.....ص34
2. التجارة في الدولة الزيانية.....ص35
أ- التجارة مع باقي دول المغرب الإسلامي و السودان الغربي.ص35
ب- التجارة مع الدول المسيحية.....ص36

المبحث الثالث: النشاط الفلاحي

-النشاط الفلاحي.....ص39

الفصل الثـــالـث:

الدور الاجتماعي للحرفيين في العهد الزيانـي

المبحث الأول: دور الحرفيين في توسع وتطور النسيج العمرانـي

أولا: دور الحرفيين في تنميق المسكن التلمساني.....ص43

ثانيا: دور الحرفيين في العناية الفنية والهندسية في المساجد والزوايا...ص46

المبحث الثانـي: دور الحرفيين في الحرف ذات الطابع الفنـي

أولا: الحلي والمجوهرات.....ص47

ثانيا: فنون تصميم الألبسة.....ص48

المبحث الثالث: دور ومساهمة الحرفيين في تطور الحياة الثقافية

أولا: حرفة التوريق.....ص50

1. الرِّقْ.....ص50

2. النَّسخ.....ص51

- خاتمة.....ص54
- الملاحق.....ص57
- قائمة المصادر والمراجع.....ص65
- فهرس المحتويات.....ص73